

تَهْذِيبُ الشُّفَا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى العيصي الأندلسي

قام بتهذيبه وترتيبه

تمام الدين سيروان نور الدين قره علي

الجزء الأول

١

”هدية شركة النهضة الطبية“

لأصحابها

عبدالمجيب الجفري ولديه عبدالعزيز ومجيب

الاهـداء

الى روح العلامة الشيخ عبد الكريم الرفاعي
صاحب المدرسة التربوية الكبرى
مسجد زيد بن ثابت الأنصاري - دمشق -
رمزاً للوفاء بالوعد
وتجديداً لما قطعناه على أنفسنا من عهد
أن نبقي على الدرب الذي رسمته
وأن نرعى غرسة الحب التي زرعتها
وأن نصون الفكرة التي من أجلها صابرت
وقضيت ؟

ولداك

جمال الدين - نور الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من اللحظة الأولى التي ولدَ فيها المصطفى عليه الصلاة والسلام
تعرّكت الأحداث في الكون ، وتجمعت مواكب الهدى ، وبدأت معالم الوجود
تتضح وبرزت القضايا على جبين الحياة ، وافتترق فم الكون عن بسمة الأمل
الجديد .

منذ تلك اللحظات افتتح التاريخ أولى صفحاته المجيدة ، ليسجل الزمن
سيرة هذا النبي لحظة تلو لحظة ، ويرسم - بكل دقة - أحداث حياته لمعة
أثر لمعة ، مترسماً خطوات الهداية ، أثراً عقب أثر ، ومتحدثاً عن صفات
النبوة وشماثلها حالا بعد حال .

وبدا الحديث ... من ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بل ومن قبل
ذلك ..

ولكن العجيب أنه لم يتوقف ، ولن يتوقف ، طالما يتحرك صدر الحياة ؛
ويغفق قلب الوجود ، فمعين الرسالة لا ينضب ، وهكذا كان حال
الرسول ...

... وقد آلت الأقلام أن لا تقف لأنه لا يعترها جفاف فهي تشرب من
رحيق القلوب ، وتجمعت آلاف الكتب تضم بين حناياها الأعاجيب من فنون
التأليف في الحب ، وفتح الكون صدره ليكون الخزانة المباركة التي تجمينا
سيرة أعظم مخلوق ، ونسمع الكون مع ذلك يقول : هل من مزيد ؟ ...

... ومن هذه الخزانة الكبرى ، ومن اليد الكريمة الطاهرة يد شيخنا
الراحل عبد الكريم الرفاعي ، شيخ المدرسة التربوية الكبرى ، مدرسا
مسجداً زيد بن ثابت الأنصاري - رحمه الله تعالى - تناولنا هذا الكتاب

(كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للمقاضي عياض بن موسى اليعصبي
الاندلسي تناولناه كأمانة مقدسة طالبنا شيخنا - رحمه الله - أن نعيش في
رياضه لننعش قلوبنا ونرتشف من معينه لنروي جذبنا ، وأن نكون لما فيه
من خير خدماً بكل ما غلك من جهد ، وأن نفوص في بحار علومه نفني
عقولنا من فقر ، ولقد اعتبرنا هذا الأمر وسام خير يعلقه شيخنا على صدور
أصغر طلابه ، واستشعرنا من ذلك بشارة رضا يتعطف بها مربّ صادق
على تلامذة مقصرين .

فوئبنا للعمل ، بعد هذه الشحنة الطيبة ، مثابرين مع اخوة لنا هم :
الشيخ (أسامة عبد الكريم الرفاعي) والشيخ (محمد أمين قره علي)
والشيخ (عبد الفتاح السيد) - خمس سنوات على التحقيق والتدقيق
والإشراف على الطباعة ، لإخراج هذا الكتاب مشروحاً شرحاً وافياً ومطبوعاً
طبعة أنيقة مرتبة ، أخرجناه أولاً مجزئاً ، وأتبعنا ذلك جمعه في مجلدين ..



ومضت الأيام ، ولنا مع هذا الكتاب لقاء لا ينقطع ، في مجالس الدروس
المسجدية فصلاً فصلاً ، نرى فيه - كل يوم - الشيء الجديد ، وتظهر
مدارسته أموراً قد لا يلحظها الإنسان في أوقات التحقيق ، وتمر علينا
بعض الأخطاء المطبعية التي غابت عنا في غمرة العمل والإخراج ،
وكل ذلك يجمع ويُسجّل ، وينصف ويرتب ، في انتظار الفرصة
المواتية لطباعة الكتاب من جديد .

وهكذا حتى شاءت إرادة الله .. وكانت الهجرة إلى الديار المقدسة ،
وكان هذا الكتاب الأنيس المؤنس ، والمؤدّب الناصح .



ورأينا أن نبدأ معه العمل .. وشرح الله الصدور .. وبعد تداول الرأي
وتقليب وجهات النظر ارتأينا ونحن نعيش المجتمع المتسارع أن نتنقل
بالكتاب من كونه مرجعاً لأهل الاختصاص لا يطالع عليه إلا القلة من طلاب

العلم الى كتاب مهذب بعجم مصغر يكون بمتناول الجميع .. وينشّق عبيره
أغلب' الأحباب . وأسميناه (تهذيب الشفا) .

فَعَمِدْنَا الى ما يلي :

١ - تناولنا كل فصل بدراسة جديدة واستخلصنا بعدها المتفقَ عليه
من الأقوال عند أهل العلم والمؤيّدَ بالأحاديث الصعيحة ذاكرين ذلك
بترتيب جديد .

٢ - عَمِدْنَا الى حذف بعض الفصول وتهذيبها مما لا يَعْنِي إلا أهل
الاختصاص ويصعبُ على القارئ العادي .

٣ - أبقينا على معظم التحقيقات الواردة في الطبعة المحقّقة الصادرة
بجلّدين عام ١٣٩٢ هـ .

٤ - حذفنا ترجمة الأعلام حرصاً على الاختصار المقصود بهذه الطبعة .

٥ - رأينا أن نصدره مجرّداً بحيث تتناسبُ قراءتهُ مع ظروف الحياة
التي يعيشها إنسان هذا العصر ، ولكي تلقوا موضوعاته القيّمةُ في أغلب
المواطن الاجتماعية .

سائلين الله تعالى أن يلهمنا الخيرَ ويجنبنا الزلل في ميادين القول
والعمل ٩

المحقّقان

جمال الدين سيّروان نور الدين قره علي

ترجمة المؤلف

في نهاية القرن الخامس الهجري وفي سنة ست وسبعين وأربعمئة على وجه التحديد وُلِدَ مؤلف الشفاء القاضي الكبير والمحدث الجليل والأديب الفقيه عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليعصبِي السبتي الغرناطي المالكي ...

لقد كان هذا القرن عصر ازدهار العلوم والفنون في بلاد الأندلس التي بدأت تنافس المشرق بالفخر العلمي وبالمجهود الأدبي الذي كان بلاط الخلفاء يزدهر بغرسه ونتاجه ..

أصله ...

لقد جاء أجداد عياض من الأندلس الى بلدة فاس في بلاد المغرب يعملون معهم صفات تلك البيئة العلمية في نفوسهم وأرواحهم ... ووُلِدَ قاضينا الكبير في بلدة سبتة في شهر شعبان بعد أن انتقل إليها والداه من مدينة فاس ...

وسبتة بموقعها الجغرافي كانت همزة وصل بين الشمال الأفريقي وبين الأندلس الزاهرة أو بالأحرى بين المشرق والمغرب على اعتبار أن كلمة المغرب كانت تطلق على البلاد الأندلسية .

ويرجع أصل المؤلف من ناحية أجداده الى يعصب بن مالك أبو قبيلة باليمن ... فالمؤلف بهذا عربي أصيل .

فاجتمعت للمؤلف كل الصفات العلمية المؤهلة من ناحية الوراثة والبيئة ثم أضاف إليها تلك الدراسة العميقة التي أخذ بها نفسه منذ نعومة أظفاره ...

ولقد كان له كثير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الفقه والأصول والحديث والأدب وظهرت جوانب من تلك العلوم في المصنفات العديدة التي ألفها ويستطيع القارئ أن يلمح تلك الأسماء العديدة في سند أكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي يرويها بطريقة عنهم .. وخاصة في كتاب الشفاء ..

علمه ...

واتَّجِهَ القاضي منذُ نعومة أظفاره الى تعلُّم العلوم الشرعية فتلقَّنها
اتقاناً عجيباً وفي سن مبكرة كما ذكر صاحب كتاب أزهار الرياض في أخبار
القاضي عياض ... ولم تمنعه دراسته للعلوم الشرعية من الأخذ من علوم
الأدب واللغة وظهر ذلك جلياً في كتاباته الجميلة الأسرة .

وأصبح المؤلف بعد فترة وجيزة قاضياً لسبته في بلاد المغرب على المذهب
المالكي الذي عم إفريقيا وانتشر فيها .

وبدأ يتَّجِه الى التأليف وأخرج التصانيف المفيدة في التفسير والحديث
والسيرة النبوية الشريفة .

وبدا فشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً ساعده عليه علمه بالحديث
وروايته له . وأخرج تفسيراً للقرآن .

ولم يطلَّ المقام به في سبته حتَّى نُقِلَ الى غرناطة سنة احدى وثلاثين
 وخمسة مئة . ولم يطلَّ مقامه بها حتَّى نُقِلَ ثانية الى سبته ليتولَّى فيها
القضاء ..

وقد ذكر ابن فرحون من علماء المالكية في طبقاته عن القاضي عياض
أنه كان اماماً في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيباً بليغاً وذكر
من تأليفه نحو ثلاثين تأليفاً جليلاً .

كتاب الشفاء :

وان أعظم ما خطه يراع القاضي هو كتاب الشفاء الذي تداولته أيادي
العلماء من كل أمة درساً وفهماً فلم يخل منه بيت عالم فاضل أو زاهد
كريم أو معبٍ على محبته منقيم ...

وقد اختتمت حياة المؤلف العافلة يوم الجمعة براكش في جمادى الآخرة
سنة أربع وأربعين وخمسائة .. وما قيل في أنه قُتِل لا أصل له .

مقدمة المؤلف

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى (١) المختص بالملك
الأعز (٢) الأحمى (٣) الذي ليس دونه (٤) منتهى ولا وراءه
مرمى (٥)، الظاهر (٦) لا تخيلاً ولا وهماً (٧)، الباطن (٨)
تقدساً لا عدماً (٩)، وسع (١٠) كل شيء رحمة وعلماً،
واسبغ (١١) على أوليائه نعماً عمماً (١٢)، وبعث
فيهم رسولا من أنفسهم (١٣) أنفسمهم (١٤) عرباً وعجماً،
وأزكاهم (١٥) محتدياً (١٦) ومنمى (١٧)، وأرجعهم عقلاً

تجويد
وتوحيد

نعمة الرسول
صلى الله عليه
وسلم

- (١) الأسمى : أفعّل التفضيل من السمو وهو الارتفاع أي المتأز عن المشاركة في اسمه الأعلى .
- (٢) الأعز : من العزة والعزير الذي لا يعوم حوله ذل ولا مغلوبية .
- (٣) الأحمى : أفعّل التفضيل من حميته حماية ، والمحمى المصون .
- (٤) دونه : لها معان منها عند ، وأمام . ووراء وهي هنا بمعنى فوق وأمام .
- (٥) مرمى : منقبتين من قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس وراء الله مرمى ولا منتهى) .
- وأصل المرمى بفتح الميم موضع الرمي شبهه بالفرض والهدف الذي ينتهي إليه سهم الرامي . وفي كتاب النهاية : (أي ليس بعد الله لطالب مطلب ، فإنه انتهت العقول ، ووقفت فليس وراء معرفته والإعان به غاية) .
- (٦) الظاهر : من أسمائه تعالى وهو بمعنى الواضح الجلي . وهو هنا الظاهر للظفرة والبصيرة في آياته . وتدبير حكمته .. ولا يذكر إلا مقروناً باسمه تعالى : (الباطن) .
- (٧) يعني أن ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول لقيام الأدلة القاطعة الدالة على وجوده ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم .
- (٨) الباطن : باعتبار ذاته لا صفاته .
- (٩) تقدساً : تفعلًا من القدس وهو الطهارة والتنزه : (عدماً) أي فقدًا إذ لا يقتضي عدم ظهوره نفي وجوده ونوره .
- (١٠) وسع : أحاط .
- (١١) أسبغ : أتم وأكمل . وهو في الأصل صفة للدرع وللثوب الطويل .
- (١٢) عماً : جمع عيمه وهي التامة الشاملة .
- (١٣) أنفسهم : بضم القاء أي من جنسهم العربي أو البشري لا من الملائكة .
- (١٤) أنفسمهم : أشرفهم وأعظمهم . من النفيس .
- (١٥) أزكاهم : أظهرهم وأغاثهم حساً ومعنى .
- (١٦) محتدياً : بفتح الميم وكسر التاء أي أصلاً وطبعاً .
- (١٧) منمى : اسم زمان أو مكان أو مصدر منمى من النمو .

وحلماً (١) ، وأوفرهم علماً وفهماً وأقواهم يقيناً (٢)
وعزماً ، وأشدهم بهم رافةً ورحماً وزكّاه روحاً وجسماً ،
وحاشاه (٣) عيباً وورصاً (٤) وآتاه حكمة (٥) وحكماً (٦)
وفتح به أعيناً عمياً (٧) ، وقلوباً غلغفاً (٨) وآذاناً صمّاً ،
فأمن به وعزّره (٨) ونصره من جعل الله له في مغمم السعادة
قسماً ، وكذّب به وصدف (١٠) عن آياته من كتب الله عليه
الشقاء حتماً « وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَى (١١) » صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمي وعلى آله
وصحبه وسلّم تسليمًا .

أما بعد : أشرق الله قلبي وقلبكَ بأنوار اليقين ولطف
لي (١٢) ولك بما لطف بأوليائه المتّقين ، الذين شرفهم الله
بِنزّل (١٣) قدسه ، وأوحشهم من الخليفة بأنسه ، وخصّهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته (١٤) وأثار قدرته بما

(١) حلماً : بكسر الحاء هو ضبط النفس عن هيجان الغضب .

(٢) اليقين : هو العلم الذي زال منه الريب تحقيقاً .

(٣) حاشاه : فعل ماضٍ بمعنى نزّهه الله وبرّاه .

(٤) عيباً وورصاً : العيب والورص شيء واحد إلا أن الورص أخص من العيب .

(٥) الحكمة : المنع والعكيم من منع نفسه من شهواتها .

(٦) حكماً : القضاء في الأحكام .

(٨) عمياً : حياً ومعنى .

(٨) غلغفاً : جمع أغلف وهو ما وضع في غلاف .

(٩) عزّره : عظّمه ووفّره .

(١٠) صدف : أعرض .

(١١) الاسراء : آية ٧٣ .

(١٢) لطف لي : المشهور تعدية لطف بالياء كقوله تعالى : الله لطيف بعباده . وجاء
تعدية باللام في قوله : (إن ربي لطيف لما يشاء) .. وفي نسخة صعيقة (بما لطف لأوليائه)
فما موصوله .. وفي نسخة (بعباده) .

(١٣) نزل : ما يهيا للضيف من مكان .

(١٤) الملكوت : باطن الملك . أو العالم العلوي (وكذا لك نري إبراهيم
مذكّرت السموات ..)

ملا قلوبهم حَبْرَةً (١) ، وَوَلَّهَ (٢) عقولهم في عظمتِهِ
حيرة ، فجعلوا همَّهم به واحداً ، ولم يروا في الدارين غيره
مُشاهداً .

فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون . وبين آثار
قدرته وعجائب عظمتِهِ يترددون . وبالألقاطع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين (٣) بصادق قوله « قل
اللهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٤) » فَأَنْتَ كَرَّرْتَ
علي السؤال في مجموع (٥) يتضمن التعريف بقدر المصطفى
عليه الصلاة والسلام ، وما يجب له من توقير وإكرام ،
وما حكم من لم يوفِ واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في
حق منصبه الجليل قلاماً (٦) ظفر ، وأن أجمع لك
ما لأسلافنا وَأُئِمَّتِنَا في ذلك من مقال ، وَأُبَيَّنَّه
بتنزيل (٧) صور وأمثال .

سبب التأليف
والدافع اليه

التسمو
بتقل التبعه

فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمراً
إمراً (٨) ، وَأَرْهَقْتَنِي (٩) فيما ندبتني (١٠) اليه عسراً ،
وَأَرْقَيْتَنِي (١١) بما كلفتني مَرْتَقَى صعباً ملاً قلبي عبا .

-
- (١) حيرة : من العبور وهو السرور (فهم في روضه نعبرون) .
(٢) ولَّه عقولهم : ولَّه بالتشديد والمعنى : جعل عقولهم والله بالتدبير والتفكير .
(٣) لهجين : مواظبين ومداومين على ذكر الله .
(٤) الأنعام : آية ٩١ .
(٥) مجموع : أي في مصنف مجموع .
(٦) قلاماً : وهو ما يسقط من الظفر .
(٧) بتنزيل صور : أي بتصوير صور .
(٨) إمراً : شديداً وعظيماً .
(٩) أرهقتني : الارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق (ولا ترهقني من أمر عسراً)
(١٠) ندبتني : طلبته مني .
(١١) أرقيتني : ألبتني إلى صعوده .

فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول ،
وتعريف (١) فصول ، والكشف عن غوامض ودقائق من
علم العقائق (٢) ممّا يعجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف إليه أو يتمتع أو يجوز عليه ، ومعرفة معنى
النبي والرسول والرسالة ، والنبوة والمحنة والمحنة (٣) ،
وخصائص هذه الدرجة العلية .

الشعور بالواجب
يبعد الخوف
من المسئولية

وهنا مهمامه (٤) فيح (٥) تحار فيها القطا (٦) ،
وتقصر بها الخطا ، وبجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد
بعلم (٧) علم ونظر سديد ومداحض (٨) تزل بها
الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد ، لكني
لما رجوت له في ذلك في هذا السؤال والجواب من نوال (٩)
وثواب بتعريف قدره الجسيم ، وخلقه العظيم ، وبيان
خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق ، وما يدان (١٠)
الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق « لِيَسْتَيَقِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
إيماناً (١١) » .

ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب لتبينته
للناس ولا تكتُمونه .

- (١) تحرير : تهذيب .
- (٢) العقائق : هي الامور الثابتة من الادله النقلية والعقلية .
- (٣) الغلة : بالضم ضرب من المعبة .
- (٤) مهمامه : جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفاضة البعيدة سمنيت بذلك لأنها مغوفة
يقول فيها الانسان لصاحبه مه مه اي اسكت .
- (٥) فيح : الواسعة .
- (٦) القطا : طائر يوصف بالسرعة في الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير .
- (٧) علم علم : بفتح العين واللام في الاول وبكسر فسكون في الثاني أي بعلامة
تقلم بها .
- (٨) مداحض : مزالق .
- (٩) نوال : عطاء .
- (١٠) يدان : يطاع .
- (١١) المدثر : آية (٣١) .

ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ، قال حدثنا الحسين بن محمد ، حدثنا أبو عمرو التَّمَرِي ، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، حدثنا سليمان بن الأشعث ، حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من سُئِلَ عن علم فكتمه أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) .

فبادرت الى نكت (٢) سافرة (٣) عن وجه الغرض ، مؤدّياً من ذلك الحق المُفْتَرَضَ ، اختلستها على استعجال لما المرء بصدده (٤) من شغل البدن والبال ، بما قلّده من مقاليد المعنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرضٍ ونفل وتردُّ بعد حسن التقويم الى أسفل سُفْلٍ ، ولو أراد الله بالانسان خيراً لجعل شغله وهمته كئله فيما يحمد غداً أو يندم معله ، فليسرّ ثم سوى نضرة (٥) النعيم ، أو عذاب الجعيم ، ولكان عليه بغويصته (٦) واستنقاذ مهجته (٧) ، وعمل صالح يستزيده ، وعلم نافع ينفّيده أو يستفيداه .

جبر (٨) الله تعالى صَدَعَ (٩) قلوبنا ، وغفر عظيم

(١) أسنده المصنف رحمه الله من طريق أبي داود وأخرجه الترمذي وحسنه .

وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين .

(٢) نكت : نكت في الأرض طعنها وهي هنا ما خفي من الأمر حتى يفتقر الى تفكير .

(٣) سافرة : كاشفه .

(٤) بصدده : بسبيله .

(٥) نضرة : العن .

(٦) خويصته : تصغير خاصته . وهو الأمر الذي يعتص به .

(٧) مهجته : روحه .

(٨) جبر : أصلح .

(٩) صدع : كسر .

ذُنُوبِنَا ، وَجَعَلَ جَمِيعَ اسْتِعْدَادِنَا لِمَعَادِنَا (١) ، وَتَوَفَّرَ
دَوَاعِينَا فِيمَا يَنْجِينَا وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ ذُلْفَى (٢)
وَيُعْظِمُنَا (٣) بِمَنْتِهِ (٤) وَرَحْمَتِهِ .

وَلَمَّا تَوَيْتُ تَقْرِيبَهُ وَدَرَجَتِ (٥) تَبْوِيهِ ، وَمَهَّدَتْ
تَأْصِيلَهُ وَخَلَّصَتْ (٦) تَفْصِيلَهُ وَانْتَحَيْتُ (٧) حَصْرَهُ
وَتَحْصِيلَهُ تَرْجَمْتُهُ (٨) بِالشِّفَا (٩) بِتَعْرِيفِ حَقْوَةِ
الْمُصْطَفَى .

-
- (١) معادنا : مرجعنا .
(٢) ذلفى : مصدر أحوال من تزلف تقرب (وأزلفت الجنة للمتقين) .
(٣) يعظمنا : يرفع قدرنا ويغصنا بالمنزلة العلية .
(٤) بمنته : بسبب امتنانه .
(٥) درجت : رتبت ومنه الدرج أي درجة درجة .
(٦) خلصت : بينت وعينت .
(٧) انتحيت : قصدت .
(٨) ترجمته : سميته .
(٩) الشفا : هي الشفاء فقد أجازوا للناس مراعاة فاصلة السجع ما يجوز للشفا
كقوله : (لا بد من صنعا وإن طال السفر) .

القسم الأول

في

تعظيم العليّ الأعلى لقدر

النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

قولا وفعلا

مقدمة القسم الأول

قال الفقيه القاضي الامام أبو الفضل رحمه الله :
'خفاء على من مارس شيئاً من العلم ، أو خص بآدنى
حجة (١) من الفهم بتعظيم الله قدر نبيّنا صلى الله عليه
سَلَّمَ ، وخصوصه اياه بفضائل ومعاسن ومناقب
'تنضبط (٢) لزمام ، وتنويهه (٣) من عظيم قدره بما
يَكِلُّ عنه 'اللسنة' والاقلام' ؛ فمنها ما صرح به تعالى في
تثابه ، ونبه به على جليل نصابه (٤) . وأثنى به عليه من
خلاقه وأدابه ، وحضّ العباد على التزامه (٥) وتقلّد
يجابه (٦) . فكان جل جلاله' هو الذي تفضّل وأولى ، ثم
رح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء الاوفى ، فله
فضل بدءاً وعوداً ، والحمد 'أولى وأخرى' .

ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال
الجلال ، وتخصيصه بالمعاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ،
المذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة ، وتأيينه

-
- (١) اللمحة : النظرة العفيه وفي نسخة (لعظه) والمقصود هنا أقل قدر من الفهم .
(٢) الزمام : هو ما يزم به والمقصود أنها لا تعصر في كتاب .
(٣) تنويهه : نزه به تنزيهاً رفع ذكره وعظمه ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
نا أول من نوه بالعرب : أي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء .
(٤) نصابه : منصبه .

(٥-٦) ويعني المصنف بهاتين العبارتين أن ما أمرنا به على قسمين : مستحب وأشار
ليه بقوله (حضّ العباد على التزامه) وواجب : وأشار اليه بقوله (وتقلّد إيجابه)
والتقلّد : وضع قلادة في الجيد أستعير للالتزام على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية
يجوز جعله مجازاً مرسلًا يعني أن نقيّد أنفسنا بالتزام ما أوجبه علينا كما نقيّد القلادة
لنقن .

بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الواضحة ، والكراما
 البيئنة التي شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه
 وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
 ذلك إلينا ، وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 أتى بالبراق (١) ليلة أسري به ملجماً (٢) مُسرجاً (٣)
 فاستصعب (٤) عليه فقال له جبريل ، أجمد تفعل هذا ؟
 فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه .. قال (٥) فرفض (٦)
 عرقاً (٧) .

-
- (١) البراق : سمي بذلك لسرعة سيره كالبراق وهو دابة دون البغل وفوق الحمار
 يضع حافره عند منتهى طوله كما في الصحيح .
 (٢) ملجماً : أي موضوعاً في فمه اللجام .
 (٣) مسرجاً : أي شد عليه السرج .
 (٤) أي أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يستقر حتى يركبه .
 (٥) قال : النبي صلى الله عليه وسلم أو أنس الراوي أو من كلام الراوي عن أنس
 (٦) ارفض : سال .
 (٧) هذا الحديث أسنده المصنف من طريق الترمذي .

الباب الأول

في

ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم انَّ في كتاب الله عز وجل آيات كثيرة مفعمة بجميل
ذكر المصطفى وعدِّ معاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره
اعتمدنا منها على ما ظهر متناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في :

عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء
وتعداد المعاسن

كقوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ (١) » الآية ... قال
سَمَرْقَنْدِي : وقراً بعضهم « مِنْ
نَفْسِكُمْ (٢) » بفتح الفاء ، وقراءة الجمهور
الضم ..

لقد جاءكم
رسول من أنفسكم

قال القاضي أبو الفضل أعلم الله تعالى
لؤميين ، أو العرب أو أهل مكة ، أو جميع
نَّاسٍ على اختلاف المُفَسِّرِينَ ، من المواجه
هذا الخطاب ، أنه بعث فيهم رسولا من
نفسهم يعرفونه ، ويتحققون مكانه ،
يعلمون صدقه وأمانته ، فلا يتهمون بالكذب
ترك النصيحة لهم لكونه منهم ، وأنه لم تكن

الحكمة في كون
الرسول من
أنفسهم

(١) التوبة : آية ١٢٨ .

(٢) من أنفسكم : قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقرا بها
رمة وابن محيىن وفي المستدرک للحاکم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قراها
لك وقراءة الجمهور بالضم .

قبيلة في العرب الا ولها على (١) رسول الله ص
الله عليه وسلم ولادة (٢) ، أو قرابة (٣) وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى
«إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٥) وكونه مـ
أشرفهم ، وأرفعهم ، وأفضلهم على قرا
الفتح ... وهذه نهاية المدح .

ثم وصفه بـ«بَعْدُ» بأوصاف حميدة ، وأثنـ
عليه بمحامد كثيرة ، من حرصه على هدايتهم
ورشدهم وإسلامهم . وشدة ما يُعْنِتُهُمْ (١)
وَيَضُرُّهُمْ في دنياهم وأخراهم ، وعزته (٢)
عليه ورأفته ورحمته بمؤمنهم .

قال بعضهم (٨) : أعطاه اسمين من أسماء
رؤوف رحيم . ومثله في الآية الأخرى : «لَقَدْ

-
- (١) (على) هنا للمصاحبة مثل قوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) أي مع حبه
(٢) ولادة : أي قرابة قريبة . . .
(٣) قرابة : أي قرابة بعيدة والمقصود منهما معا أن في كل قبيلة من العرب له ص
الله عليه وسلم أب أو جد أو أم وقوله : لم تكن في العرب قبيلة ... أخرجه أبو نعيم
الدلائل من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : «ل
جاءكم رسولٌ من أنفسكم» .
(٤) كما رواه عنه البخاري والطبراني .
(٥) الشورى : آية ٢٣ .
(٦) أي من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرُّ بهم .
(٧) أي من غلبة وشدة ومشقة ما يعنتهم على النبي صلى الله عليه وسلم .
(٨) القائل : هو الحسين بن الفضل .

نَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ (١) « الآية .

وقوله تعالى : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ (٢) » الآية .

وقوله تعالى : « كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ
رَسُولًا مِنْكُمْ (٣) » الآية .

وروي عن علي عنه صلى الله عليه وسلم (٤)
قوله تعالى : من أنفُسِكُمْ . قال : « نسباً
صهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم
يفاح ، كلها نِكَاح » .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى : « وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ » (٥)
قال : (من نبيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجتك
بيتاً) (٦) .

(١) آل عمران : آية ١٦٤ .

(٢) الجمعة : آية ٢ .

(٣) البقرة : آية ١٥١ .

(٤) كما رواه ابن أبي عمر العدني في مسئله .

(٥) الشعراء : آية ٢١٩ .

(٦) كما رواه ابن سعد واليزار وأبو نعيم في دلائله بسند صحيح عنه .

وقال جعفر بن محمد : علم الله تعالى عبده خلقه عن طاعته فعرّفهم ذلك لكي يعلموا أن لا ينالون الصّفوّ (١) من خدمته ، فأقام بينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة ، ألبس من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخلّة سفيراً صادقاً ، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته ، فقال تعالى : « يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (٢)

صلة المخلوق
بالخالق عن
طريق الرسل

وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (٣) . قال أبو بكر محمد ابن طاهر : زيّن الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بزيينة الرحمة ، فكان كونه رحمة وجميع شأله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي الدارين من كل مكروه ، والواصل فيهما كل محبوب .

وما أرسلناه الا
رحمة للعالمين

ألا ترى أن الله تعالى يقول : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » فكانه

(١) الصفو بمعنى الصافي الخالص والمراد عبادة الله وطاعته مع الغلوص من العنصرية النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات .

(٢) النساء : آية ٨٠ .

(٣) الانبياء : آية ١٠٧ .

يَاتُهُ رَحْمَةٌ وَمِمَّا تُهُ رَحْمَةٌ .

كما قال عليه الصلاة والسلام (١): «حياتي
ير لكم ، وموتي خير لكم» .

وكما قال (٢) عليه الصلاة والسلام : إذا
أد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله
أ فرطاً (٣) وسلفاً » .

وقد سَمَّاهُ اللهُ تعالى في القرآن في هذا
لوضع نوراً وسراجاً منيراً ، فقال تعالى :
« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ » وَكِتَابٌ
« بُيِّنٌ » (٤) وقال تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
مُهْدِئاً وَنَذِيراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى
لَهُ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (٥) » .

ومن هذا قوله تعالى : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ
صَدْرَكَ » الى آخر السورة « شرح »

(١) وفي نسخة : صلى الله عليه وسلم كما رواه العارث بن ابي اسامة في مسنده
البزار بإسناد صحيح .

(٢) علي ما رواه مسلم .

(٣) الفرط : هو الذي يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم في
نازلهم .

(٤) المائدة : آية ١٥ .

(٥) الاحزاب : آية ٤٦-٤٧ .

وَسَعَّ . والمراد « بالصدر (١) » هنا القلب

قال ابن عباس رضي الله عنهما (٢)
شرحه « بنور الاسلام » .

وقال سهل : « بنور الرسالة » .

وقال الحسن : « ملاء حكماً وعلماً » .

وقيل معناه : « ألم يطهر قلبك حـ
لا يقبل الوسواس » .

« وَوَضَعْنَا عَنْكَ رِزْكَ الذِّ
آ نَقَضَ ظَهْرَكَ (٣) » . وضع الوزر

قيل : « ما سلف من ذنبك - يعني قبـ
النُّبُوَّة - » .

وقيل : « أراد ثِقَلَ أيام الجاهليَّة » .

وقيل : « أراد ما أثقل ظهره من الرسا
حتى بلغها » . حكاه الماوردي والسُّلَمي

وقيل : « عصمتك ، ولولا ذلك لأثقلت

(١) الانشراح : آية ١ .

(٢) كما رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة ، وابن مردويه ، وابن المنذر في تفسيريهما

(٣) مـ ح : آية ٢-٣ .

« نوب ظهرك » . حكاه السمرقندي .

« وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (١) » قال دفع الذكر
يبي بن آدم « بالنبوة » .

وقيل : « إِذَا ذُكِرْتَ ذُكِرْتَ مَعِيَ (٢)
قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
لَهُ » وقيل : في الأذان .

قال القاضي الفقيه أبو الفضل : هذا
رير من الله جلَّ اسمه لنبيه صلى الله عليه
سلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته
نده ، وكرامته عليه ، بأن شرح قلبه للإيمان
الهداية ووسَّعه لوعي العلم وحمل الحكمة ،
رفع عنه ثقل أمور الجاهليَّة عليه ، وبُغِضَ (٣)
سَيَرَهَا وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
الملك ، وَحَطَّ عَنْهُ عَهْدُ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ
النبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم ، وتنويهه
بظيم مكانه ، وجليل رتبته ، ورفع ذكره
قرانه مع اسمه اسمه ...

(١) الانشراح : آية ٤ .

(٢) وسيأتي أن هذا حديث مرهوع .

(٣) حق العبارة أن تكون : (وبُغِضَ لَهُ سَيَرَهَا) .

قال قتادة (١) : « رفع الله تعالى ذكره
الدنيا والآخرة . فليس خطيب ولا متشهد و
صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
النبي صلى الله عليه وسلم قال (٢) : « أتا
جبريل عليه السلام فقال : ان ربني ورب
يقول : تدري كيف رفعت ذكرك ؟ ... قلت
الله أعلم . قال : إذا ذكرتُ ذكرِي
معي ... » .

وقال ابن عطاء : جمعت تمام الأياد
بذكرك معي . وقال (٣) أيضاً : « جعلت
ذكراً من ذكري ، فمن ذكرَكَ ذَكَرَنِي

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكر
أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية . وأش
بعضهم (٤) في ذلك إلى مقام الشفاعة ... و

(١) أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي .
(٢) كما في صحيح ابن حبان ومسنده أبي يعلى .
(٣) أي عطاء .
(٤) كالماورني .

ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه . فقال تعالى : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ (١) » ... و « آمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ (٢) » ... فجمع بينهما بواو العطف
لمشركة ...

وأطيعوا الله
والرسول

حكم العطف
بين الغالق
والمغلول

ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
صلى الله عليه وسلم ..

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال (٣) : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ
لِلَّهِ وَشَاءَ فُلَانٍ ، وَلَكِنْ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ
فُلَانٌ ... »

قال الخطابي : أرشدكم صلى الله عليه وسلم
لى الأدب فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة
من سواه ، واختارها بـ « ثم » التى هى
لنسق (٤) والتراخي (٥) بخلاف « الواو » التى
هى للاشتراك ...

(١) آل عمران : آية ١٣٢ .

(٢) النساء : آية ١٣٦ .

(٣) أسنده المصنف هنا من طريق أبى داود ، ورواه أيضا النسائي فى اليوم والليلة
ابن أبى شيبة فى المصنف .

(٤) النسق : بفتح تين أى للمطف والترتيب .

(٥) أى المهلة فى الوجود والرتبة .

أقوال العلماء في
مسألة الجمع بين
الخالق والمخلوق
بضمير واحد

ومثله الحديث الآخر : « أَنَّ خَطِيباً (١) خَطَبَ
عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا
يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ ، وَمَا
يَعْصِيهِمَا (٢) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ . قَم (٣) . أ
قَالَ : « أَذْهَبَ » قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٤) : كَرِهَ مِنْ
الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ بِحَرْفِ الْكُنْيَةِ (٥) لِمَا فِيهِ مِنَ
التَّسْوِيَةِ .

وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على
« يعصهما » وقول أبي سليمان أصح . . لما
روى في الحديث الصحيح أنه قال : « وَمَا
يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى » ولم يذكر الوقوف على
يعصهما .

وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني (١)
في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ » هل « يُصَلُّونَ »

(١) قيل (هو ثابت بن قيس بن شماس) .

(٢) وفي نسخة صبيحة زيادة (فقد غوى) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في اليوم واللييلة ، وأبو داود في الأبواب ورواه مس
أيضاً .

(٤) أي الخطابي .

(٥) ويقصد بحرف الكناية هنا الضمير من (يعصهما) حيث كتبه عن الله ورسوله

(٦) أي علماء البلاغة .

(٧) الأحزاب : آية ٥٦ .

اجتمع على الله تعالى والملائكة !! أم لا ؟ ..

فأجازه بعضهم .

ومنعه آخرون لعله التشريك ... وخصّثوا
لضمير الملائكة . وقد رَوَا الآية « ان الله
صَلَّى وملائكته يُصَلُّونَ » .

وروي (١) أنه لما نزلت هذه الآية قالوا (٢) :
ان محمداً يريد أن نتخذه حناناً (٣) كما اتخذت
لنصارى عيسى « ... فانزل الله تعالى : « قُلْ
طِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ » (٤) .. فقرن
لأعته بطاعته رَغماً لَهُمْ .

اختلاف المفسرين
في معنى الصراط
المستقيم

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
« اِهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
لَهُمْ (٥) » فقال أبو العالية والحسن

(١) رواه ابن المنذر عن مجاهد وقتادة ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله
نهما .

(٢) أي الكفار أو المنافقون والقاتل منهم عبد الله بن أبي بن سلول نزل منزلة
اجمع لعظمته عندهم .

(٣) حناناً : ربا ذا رحمة .. او مكانا يتمتع به للبركة .

(٤) آل عمران : آية ٣٢ .

(٥) الفاتحة : آية ٦ ، ٧ .

البصري : « الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وخيار أهل بيته
وأصحابه حكاه عنهما (١) أبو الحسن الماوردي

وحكى مكي عنهما نحوه (٢) ، وقال : « هـ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب
أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وحكى أبو الليث السمرقندي مثله هـ
أبي العالية في قوله تعالى : « صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ » (٣) .

فبلغ ذلك الحسن (٤) فقال : « صدق والله
ونصح » .

وحكى الماوردي ذلك في تفسير « صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ » عن عبد الرحمن
ابن زيد .

(١) ورواه في المستدرک عن أبي العالية وصححه .
(٢) أي بالمعنى لا باللفظ ، وأخرجه بلفظ مكي ابن جرير وابن أبي حاتم وآخر
المستدرک من رواية أبي العالية عن ابن عباس وصححه .
(٣) سورة الفاتحة : آية ٧ .
(٤) أي بلغه ذلك عن عاصم .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى : « فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (١) » أنه محمد صلى الله
عليه وسلم .

وقيل : « الاسلام » .

وقيل : « شهادة التوحيد » .

وقال سهل في قوله تعالى : « وَإِنْ تَعَدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (٢) » قال : نعمته
بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ
وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣) »
الآيتين .

أكثر المفسرين على أن « الَّذِي جَاءَ
بِالصُّدُقِ » هو محمد صلى الله عليه وسلم .

قال بعضهم : وهو الذي « صَدَّقَ بِهِ » .

(١) البقرة : آية ٢٥٦ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٤ .

(٣) سورة الزمر : آية ٢٢ .

الفصل الثاني



وصفه تعالى له بالشهادة

وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاحِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا (١) » .. الآية .

جمع الله تعالى له في هذه الآية ضرباً من
رتب الأثر (٢) ، وجملة أوصاف من المُلْحَا
فجعله « شاعداً » على أُمَّتِهِ لنفسه بآبلاغهم
الرسالة ... وهي من خصائصه صلى الله عليه
وسلم .

شاعداً

« وَمُبَشِّرًا » لأهل طاعته ...	ومبشراً
« وَنَذِيرًا » لأهل معصيته ...	ونذيراً
« وَدَاعِيًا » إلى توحيده وعبادته ...	وداعياً
« وَسِرَاجًا مُنِيرًا » يهتدى به للحق ...	سراجاً منيراً

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٥ .

(٢) الأثر . بالضم الكرامة وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاول هو المراد هنا .

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن الماص فقلت (١) : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أجل (٢) والله انه ' لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحَرِزاً (٣) لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي . سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفُظْ (٤) وَلَا غَلِيظَ ، وَلَا صَخَّابَ (٥) فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيْئَةِ (٦) السَّيْئَةَ (٧) ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَغْفِر ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْمَوْجِئَةَ ، بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنَنَا عَمياً ، وَأَذَاناً صماً ، وَقُلُوباً غُلْفاً ...

وذكر مثله (٨) عن عبد الله بن سلام وكعب لأخبار : وفي بعض طرقه (٩) عن ابن اسحق :

-
- (١) أخرج البخاري هذا الحديث منفرداً عن بقية أصحاب الكتب الستة في موضعين : أحدهما في التفسير ، والثاني في البيوع ، وهو الذي ساقه أبو الفضل منه .
(٢) أجل : نعم ، وكأنه نزل (أخبرني) منزلة أخبرني ؟ .
(٣) حرزاً : حفظاً أو حافظاً .
(٤) الفُظْ : سيء الخلق قليل التؤدة .
(٥) الصخاب : الذي يرفع الصوت .
(٦) الصادرة منه .
(٧) الصادرة من غيره .
(٨) وروي مثله لابن عمر ولعطاء بن يسار كما في البخاري تعليقا وأسنده الدارمي .
(٩) أي طرق الحديث كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه .

روايات من
التوراة
في صفته صلى
الله عليه وسلم

ولا صَخْبٍ في الأسواق ولا متزَيِّن بالفحش
ولا قَوَّالٌ لِلْغَنَّا (١) ، آسَدُهُ لكل جميل
وأهَبُ له كلُّ خلق كريم ، وأَجْمَلُ السَّكِينِ
لباسه ، والبرُّ شعاره (٢) والتقوى ضميره (٣)
والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمروءة خلقه ، والعدل سيرته
والحق شريعته ، والهدى إمامه (٤) والاسلا
ملته ، وأحمد اسمه . أهدي به بعد الضلالة
وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة
وأُسَمِّي به بعد النكرة (٥) وأكثر به بعد القل
وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة
أولَّفُ به بين قلوب مختلفة ، وأهوا
متشَتِّة ، وأُمم متفرِّقة ، وأجعل أمته
خيرَ أمة أخرجت للناس .

وفي حديث آخر (٦) : أخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة

(١) الغنا : القول القبيح .

(٢) شعاره : دأبه وعادته .

(٣) ضميره : في صدره .

(٤) إمامه : أي قلوبه وفي نسخة معتمدة بالفتح أي قدامه .

(٥) أي أجعل الناس الجهولين معروفين بسببه أو بما أوحى إليه . أو أرفعهم
ما جهلوه من التوحيد .

(٦) رواه الدارمي عن كعب موفوفا . والطبراني راوى نعيم في دلالة عن ابن مسعود

«عبدى أحمد المختار، مولده بمكة، ومهاجره»
بالمدينة - أو قال طيبة - أُمَّتُهُ الحمَّادون لله
على كلِّ حال .

وقال تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ (١) » . الآيتين .

وقد قال تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ
لِنتَ لَهُمْ (٢) » الآية .

قال السَّمَرَقَنْدِيُّ : ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
رَحْمَتَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ
مَنْتَهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا
بِالْمُؤْمِنِينَ ، رُوْفًا لِيُنَ الْجَانِبَ ؛ وَلَوْ كَانَ فَظًا
خَشَنًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ . وَلَكِنْ جَعَلَهُ
اللَّهُ تَعَالَى سَمَحًا سَهْلًا طَلَقًا بَرًّا لَطِيفًا .

هكذا قاله الضَّحَّاك .

وقال تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا (٣) » .

(١) الأعراف : آية ١٥٧ .

(٢) آل عمران : آية ١٥٩ .

(٣) البقرة : آية ١٤٣ .

فضل أمته
من فضله

قال أبو الحسن القاسمي : أبان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته
بهذه الآية .

وفي قوله في الآية الأخرى : « وَفِي هَذَا
لِيَكُونَنَّ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) » .

وكذلك قوله تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ (٢) » الآية .

وقوله تعالى : « وَسَطاً » أي عدولا خياراً
ومعنى هذه الآية : وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أُمَّةً
خياراً عدولاً ، لتشهدوا للأنبياء عليهم الصلاة
والسلام على أمهم ، ويشهد لكم الرسول
بالصدق .

شهادة الرسول
صلى الله عليه
وسلم لأُمَّته
بالصدق

(١) الحج : آية ٧٨ .
(٢) النساء : آية ٤١ .

قِيلَ (١) : إِنْ أَلَّهْ جَلْ جَلَالَهُ إِذَا سَأَلَ الْأَنْبِيَاءُ
 مَلْ بَلَّغْتُمْ ؟! فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَتَقُولُ
 أَمَّهُمْ : « مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا
 نَذِيرٍ (٢) » فَتَشْهَدُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَيُزَكِّيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَقِيلَ مَعْنَى الْآيَةِ : إِنْ كُنْتُمْ حُجَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ
 خَالَفَكُمْ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةٌ
 عَلَيْهِمْ ..

حَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ .

فَدَمَ الصِّدِّيقُ
 لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ

وَقَالَ تَعَالَى : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ (٣) » .

قَالَ قَتَادَةُ ' وَالْحَسَنُ ' وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ :
 « قَدَمَ صِدْقٍ » هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَشْفَعُ لَهُمْ (٤) .

(١) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت أن تكون متواترة . فكان حقه أن يقول صح ونحوه
 ولا يعبر « بقيل » المشعر بضعفه ، إذ رواه البخاري وغيره .

(٢) المائدة : آية ١٩ .

(٣) يونس : آية ٢ .

(٤) أخرج ذلك ابن جرير عنهم .

وعن الحسن أيضاً (١) هي مُصِيبَتُهُ
بَنَبِيَّتُهُ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (٢)
وهو شفيع صدق عند ربهم .

وقال سهل بن عبد الله التستري : هي
سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه
وسلم .

وقال محمد بن علي الترمذي : هو إما
الصادقين والصدّيقين الشفيع المطار
والسائل المُجاب محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه عنه السُّلَمي .

(١) أي في روايه اخرى . أخرجها ابن أبي الدنيا في كتاب العزة .
(٢) أخرج ابن مردويه في تفسيره .

الفصل الثالث

في

ما ورد من خطابه إيّاه

مورد الملاطفة والمبرّة

فمن ذلك قوله تعالى : « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ (١) » .

قال أبو محمد مكي : قيل : هذا افتتاح كلام بمنزلة : أَسْلَحَكَ اللَّهُ ، وَأَعَزَّكَ اللَّهُ .

وقال عون بن عبد الله : أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب . وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب . ومن إكرامه إيّاه ، وبرّه به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط (٢) القلب .

قال الفقيه القاضي : يجب على المسلم

(١) التوبة : آية ٤٣ .

(٢) عرق من الوتين يناط القلب به من جانب الصلب .

المجاهد نفسه ، الرائض (١) بزماء الشريعة
خُلِقَ ، أن يتأدب بآداب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته ، فهو عنصر (٢)
المعارف الحقيقية ، وروضة الآداب الدينية
والدنيوية ، وليتأمل هذه الملاحظة العجيبة في
السؤال من رب الأرباب المُنعم على الكل ،
المستغني عن الجميع ، ويستثير (٣) ما فيها من
الفوائد ، وكيف ابتدأ بالأكرام قبل العتب ،
وأنس بالعفو قبل ذكر الذنب - إن كان ثم
ذنب - .

ومثله قوله تعالى : « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ
لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ
لَا يَكْذِبُونَكَ (٤) » الآية .

قال علي رضي الله عنه (٥) : قال أبو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَا نَكْذِبُكَ
ولكن نَكْذِبُ بما جئت به ... فأنزل الله
تعالى : « فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ » الآية .

لا يشككون في
صحته ولكن
يشككون بما
جاء به

(١) الرائض : المذل .

(٢) عنصر : أساس .

(٣) يستثير : يظهر .

(٤) الأنعام : آية ٣٣ بالتشديد للجمهور . وبالتخفيف لنافع والكسائي .

(٥) كما رواه الترمذي وصححه الحاكم .

ففي هذه الآية مَنزَعٌ (١) لطيفٌ المأخذ في تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وإِلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم ، وأنهم غير مكذِبين له ، معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً . وقد كانوا يُسمُّونه قبل النبوة « الأمين » .

فدَفَعَ بهذا التقرير ارتماض (٢) نفسه بِسِمَةِ الكذب ثم جعل الذمَّ لهم بتسميتهم « جاحدين » « ظالمين » .

فقال تعالى : « وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣) » فحاشاهُ (٤) من الوصم . وطَوَّاهُمْ (٥) بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم .

تمريف الجعود

اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى : « وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (٦) » .

-
- (١) بفتح الميم وسكون النون وفتح الزاي : من نزع إلى الشيء ذهب إليه .
 (٢) ارتماض : الالاق .
 (٣) الانعام : آية ٢٣ .
 (٤) حاشاه : نزهه .
 (٥) أي ألزم أطواقهم في اعناقهم .
 (٦) النمل : آية ١٤ .

ثم عزّاه وأنسه بما ذكره عن قبله ووعدّه
بالنصر بقوله تعالى : « وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ (١) » الآية . فمن
قرأ (٢) « لَا يُكْذِبُونَكَ (٣) » بالتخفيف .
فمعناه لا يجدونك كاذباً ..

وقال الفراء والكسائي : لا يقولون إنك
كاذب .

وقيل : لا يحتجون على كذبك ولا يشبهونه .

وفي قراءة (٤) بالتشديد . فمعناه
لا ينسبونك الى الكذب .

وقيل : لا يمتقدون كذبك .

ومما ذكر في خصائصه وبرّ الله تعالى به .
أنّ الله تعالى خاطب جميع الأنبياء عليهم

(١) الانعام : آية ٢٤ .

(٢) وهو نافع والكسائي .

(٣) ومعنى « يُكْذِبُونَكَ » أي لا يجدونك تأتي الكلب ، كما تقول : اكذبتّه وجدته
كذاباً ، وابخلته وجدته بخيلاً ، أي لا يجدونك كذاباً ان تدبّروا ما جئت به .

(٤) وهي قراءة الباقين .

الصَّلَاة والسلام بأسمائهم . فقال : يا آدم (١)
- يا نوح (٢) - يا ابراهيم (٣) - يا موسى (٤) -
يا داود (٥) - يا عيسى (٦) - يا زكريا (٧) -
يا يحيى (٨) .

ولم يُخَاطَب هو الا : يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ (٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (١٠) يَا أَيُّهَا
الْمُزْمِلُ (١١) يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١٢) .

-
- (١) يا آدم انبئهم بأسمائهم . البقرة : آية ٣٣ .
(٢) يانوح اهبط بسلام منا . هود : آية ٤٨ .
(٣) يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . الصافات : آية ١٠٤-١٠٥ .
(٤) ... يا موسى ، ولقد مننا عليك مرة اخرى . طه : آية ٣٦-٣٧ .
(٥) يا داود انا جعلناك خليفة . ص : آية ٢٦ .
(٦) يا عيسى انا متوفيك . آل عمران : آية ٥٥ .
(٧) يا زكريا انا نبشرك . مريم : آية ٧ .
(٨) يا يحيى خذ الكتاب بقوة . مريم : آية ١٢ .
(٩) المائدة : آية ٦٧ .
(١٠) الاحزاب : آية ٤٥ .
(١١) المزمل : آية ١ .
(١٢) المدثر : آية ١ .

الفصل الرابع

في

قَسَمَهُ تَعَالَى بِعَظِيمِ قَلْبِهِ

قال تعالى : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (١) » .

قَسَمَهُ تَعَالَى بِعَظِيمِ قَلْبِهِ
بِعَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اتفق أهل التفسير في هذا أنه قَسَمَ من عليه وسلم الله جل جلاله بمدّة حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأصله ، ضم المين في العَمْر . ولكنها
فُتِحَتْ لكثرة الاستعمال .
ومعناه (٢) : وبقائك يا محمد .
وقيل (٣) : وعيشك .
وقيل : وحياتك .
وهذه نهاية التعظيم وغاية البرّ
والتشريف .

(١) العَجْر : آية ٧٢ . يعْمَهُونَ : يتعَبَّرونَ ويترددون .

(٢) كما رواه أبو العوّاء عن ابن عباس .

(٣) كما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً . وعزّي إلى الأخفش .

قال (١) ابن عباس رضي الله عنهما :
 ما خلق الله تعالى وما ذرأ (٢) وما برأ (٣)
 نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه
 وسلم ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد
 غيره .

وقال الله تعالى : « لَا أَقْسِمُ بِهَذَا
 الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٤) »
 قيل : « لَا أَقْسِمُ (٥) به إذا لم تكن فيه بعد
 خروجك منه » حكاه مكِّي .

وقيل : « لا » زائدة . أي أقسم به وأنت
 به يا محمد « حلال (٦) » أو « حِلٌّ » لك ما فعلت
 فيه . على التفسيرين .

والمراد بـ « البلد » عند هؤلاء مكة (٧) .

(١) فيما رواه البيهقي في دلائله ، وأبو نعيم وأبو يعلى .

(٢) ذرأ : خلق وكأنه مختص بالذرية .

(٣) برأ : خلق بمعنى صنّعه .

(٤) سورة البلد : آية ١ ، ٢ .

(٥) المعنى أنه سبحانه أقسم بالبلد الحرام وفيه يعطى رسول الله عليه الصلاة والسلام
 اظهاراً لمزيد فضله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر به المصنف بقوله : « لا أقسم
 به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه » .

(٦) أي حلال لك لا لغيرك بأن تقتل بها المشركين وذلك لما رواه الشيخان : « أن الله
 تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض لم تعل لأحد قبلي ولا بعثني وأنا أحلت لي
 ساعة من نهار ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة » .

(٧) وهذا هو المشهور عند الجمهور .

ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى:
« وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (١) » .

امتنها الله
بجسمه فيها
قال : أمّنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه
بهاً فإنّ كونه (٢) أماناً " حيث كان .

ثم قال تعالى : « وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) » .

من قال (٤) : أرادَ آدمَ ، فهو عام .

ومن قال : هو إبراهيم . « وَمَا وَلَدَ »
فهى - إن شاء الله تعالى - إشارة إلى محمد صلى
الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به
صلى الله عليه وسلم في موضعين .

(١) سورة التين : آية ٣ .

(٢) أي وجوه فيها .

(٣) سورة البلد : آية ٣ .

(٤) أي كمجاهد .

الفصل الخامس

في

قسمه - تعالى جَدّه - له لتحقيق مكانته عنده^(١)

والضعي
سبب نزولها

قال تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) » - السُّورَة - اِخْتَلَفَ فِي سبب نزول هذه السورة .

ف قيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به ، فتكلمت امرأة " في ذلك بكلام (٣) .

وقيل (٤) : بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي . فنزلت السورة (٥) .

قال الفقيه القاضي : تضمنت هذه السورة

(١) بفتح الجيم وتشديد الدال اي عظمته .

(٢) سورة الضعي : آية ١ ، ٢ .

(٣) أخرجه الشيفان عن جندب ، وأخرج الحاكم أن المرأة المذكورة هي امرأة أبي لهب . وقد تكلمت بما لا يليق ذكره لأهل الإسلام ويؤيده ما رواه البخاري : (اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاث فقامت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لعدم قيامك ، فانزل الله سورة الضعي) .

(٤) وعليه جمهور المحسرين على ما قيل .

(٥) ويدل عليه حديث مسلم والترمذي .

وجوه تعظيمه
في هذه السورة

من كرامة الله تعالى له ، وتنويهه (١) به .
وتعظيمه ايّاه ستة وجوه :

الأول : القَسَمَ له عما أخبره به من حاله
بقوله تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى » أي ورب الضحى . وهذا من أعظم
درجات المَبَرَّة .

بيان مكانته
منه

الثاني : بيان مكانته عنده وحظوته لديه
بقوله تعالى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَتَلَ (٢) » أي ما تبركك وما أبغضك .

وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك .

الثالث : قوله تعالى : « وَلَآخِرَةُ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٣) » .

السال خم

قال ابن إسحق : أي مآلك في مرجعك عند
الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .

وقال سهل : أي ما ادخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا .

الرابع قوله تعالى : « وَلَسَوْفَ يُمْطِرُكَ »

(١) تنويهه : رفعه ، ونوهت باسمه أي رفعت ذكره .

(٢) سورة الضحى : آية ٣ .

(٣) سورة الضحى : آية ٤ .

الغطاء محدود
بالرضى

بِكَ فَتَرْضَى (١) . وهذه آية جامعة
وجوه الكرامة ، وأنواع السعادة ، وشتات (٢)
لأنعام في الدارين والزيادة .

قال ابن إسحق : يرضيه بالفالج (٣) في
لدنيا والثواب في الآخرة .

وقيل (٤) : يعطيه الحوض والشفاة .

وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : ليس في القرآن أرجى منها ،
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يدخل أحد من أمته النار (٥) .

رضاه باخراج
امته من النار

الخامس : ما عَدَّ تعالى عليه من نِعَمِهِ ،
وقرره من آلائه (٦) ، قَبْلَهُ في بقية السورة من
هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به ،
على اختلاف التفاسير ، ولا مال له ، فأغناه بما
أتاه ، أو بما جعله في قلبه من القناعة والفنى ،
ويتيمأ فَحَدِّب (٧) عليه عمه وآواه إليه .

-
- (١) سورة الضحى : آية ٥ .
(٢) الشتات : مصدر بمعنى التفرق أريد به متفرقاته ويعني به انه تجمع فيك كل
نوع من أنواع النعم التي أنعم الله بها على غيره ممن اختاره واصطفاه .
(٣) الفالج : بفتح الفاء وتسكين اللام أي القفر والفوز .
(٤) وهو قول علي بن أبي طالب على ما ذكره الثعلبي في تفسيره .
(٥) ورواه عنه أيضا أبو نعيم في العلبة موقوفا . والذيل في مسند الفردوس
مرفوعا .
(٦) الإلاه : النعم مرفوعا « الى » مقصور وتفتح الهمزة وتكرر .
(٧) حذب : رقى ومظف .

الإيـواء

وقيل : آواه' إليه (١) .

اليتيم

وقيل : « يتيماً » لا مثال لك فأواك إليه
وقيل : المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا
وأغنى بك عائلا ، وأوى بك يتيماً ، ذكر
بهذه المنن ، وأنه على المعلوم من التفاسير له
يهمله في حال صفوه ، وعيلته ، ويطمه ، وقبل
معرفته به ، ولا ودعاه' ولا قللاه ، فكيف بعد
اختصاصه واصطفائه .

إظهار النعمة

السادس : أمره بإظهار نعمته عليه ، وشكر
ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى :
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (٢) » .

فان من شكر النعمة التحدث بها (٣) .

وهذا خاص له . عام لأئمة .

والنجم إذا هوى

وقال تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (٤) » ،
الى قوله تعالى : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ
رَبِّهِ الْكُبْرَى (٥) » .

(١) وفي نسخة آواه الله . اي ضمته إلى نفسه ولم يعوجه لعماية احد وإيوانه .

(٢) سورة الضحى : آية ١١ .

(٣) وفي نسخة « التحديث » وفي أخرى « الحديث » .

(٤) سورة النجم : آية ١ .

(٥) سورة النجم : آية ١٨ .

فضائله صلى الله
عليه وسلم في
هذه السورة

تضمنت هذه الآيات من فضله ، وشرفه ،
عد (١) ما يقف دونه العد ، وأقسم جل
سما على هداية المصطفى ، وتنزيهه عن الهوى ،
صدقه فيما تلا ، وأنه وحي يوحى ، أوصله
ليه عن الله جبريل ، وهو الشديد القوَى ،
م أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء ،
انتهائه الى سدره المنتهى ، وتصديق بصره
يما رأى ، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى .

وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الاسراء ،
لما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من
لك المَجْرُوتِ (٢) ، وشاهدَه من عجائب
الملوك (٣) ، لا تحيط به المبارات ، ولا
نستقل (٤) بحمل سماع أدناه ' المَقُول ، رمز
منه تعالى بالإيماء ، والكناية الدالة على
لتعظيم .

-
- (١) العد : بكسر العين وتشديد الدال المهملتين أي الشيء الكثير الذي لا تنقطع مادته
أصله في الماء يقال ماء عد إذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبنر .
(٢) جيروت : فعلوت من الجبر وهو القوة والعظمة .
(٣) الملوك : فعلوت من الملك ، مبالغة ، والملك ظاهر السلطنة ، والملوك باطنها .
(٤) تستقل : تستبد .

فقال تعالى : « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدٍ
مَا أَوْحَىٰ (١) » .

وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقب
والبلاغة « بالوحي والإشارة » وهو عنده
أبلغ أبواب الإيجاز .

الإشارة تقوم
مقام العبارة

وقال : « لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ
الْكُبْرَىٰ (٢) » .

انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى
وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى

قال القاضي أبو الفضل : اشتملت هذه
الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته
صلى الله عليه وسلم ، وعصمتها من الآفات في
هذا المسرى .

فزكَّى فؤاده ، ولسانه ، وجوارحه .
- فقلبه بقوله تعالى : « مَا كَذَبَ

(١) سورة النجم : آية ١٠ .

(٢) سورة النجم : آية ١٨ .

تزكية القلب

لِفُؤَادُ مَا رَأَى (١) « ١ » .

تزكية اللسان

— وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ : « وَمَا يَنْطَلِقُ
بِئْسَ الْهَوَى (٢) » .

تزكية البصر

— وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ : « مَا زَاغَ الْبَصَرُ
مَا طَفَى (٣) » .

وقال تعالى : « فَلَا أُقْسِمُ بِالْغُنُصِ (٤) ،
لِجَوَارِ الْكُنُصِ (٥) » إلى قوله : « وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٦) » .
« لَا أُقْسِمُ » أي أقسم .

كريم

« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٧) » أي
كريم عند مرسله .

في قوة

« ذِي قُوَّةٍ » على تبليغ ما حمله من الوحي .

مكين

« مَكِينٍ » أي متمكن المنزلة عند ربه ،
فيح المحل عنده .

(١) سورة النجم : آية ١١ .

(٢) سورة النجم : آية ٣ .

(٣) سورة النجم : آية ١٧ .

(٤) سورة التكوين : آية ١٥ . ١٦ . والغنص : من غنص إذا تأخر والمراد الكواكب
لأنها تغنص في المغرب أو لأنها تغطي نهارا .

(٥) الكنص : أي الكواكب التي تغطي تحت ضوء الشمس والكنص مأخوذة من كنس
الوحش إذا دخل كناسه أي بيته .

(٦) سورة التكوين : آية ٢٥ .

(٧) سورة التكوين : آية ١٩ .

في السماء

« مُطَاعَ ثَمَّ (١) » أي في السماء .

امين

« آمين » على الوحي .

قال علي بن عيسى وغيره : الرسول هـ
محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف
بعد - على هذا - له .

وقال غيره : هو جبريل ، فترجع الأوصاف
إليه .

رؤية ربه

« وَلَقَدْ رَآهُ » يعني محمداً صلى الله
عليه وسلم .

قيل (٢) : رأى ربه .

وقيل : رأى جبريل في صورته .

ظنين

« وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنٍّ (٣) »
أي بمتهم .

ومن قرأها بالضاد (٤) فمعناه : ما هو
ببخیل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه ،
وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق ..

(١) سورة التکویر : آية ٢١ . ثم بمعنى هناك .

(٢) نقل عن ابن مسعود وغيره .

(٣) سورة التکویر : آية ٢٤ . وهي قراءة ابن كثير وإبي عمرو والكسائي .

(٤) وهم نافع وحزمة وابن عامر من الضنّ والضنة وهي البخل .

وقال تعالى : « ن وَالْقَلَمِ .
 مَا يَسْطُرُونَ (١) » الآيات .

أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم
 اسمه ، من تنزيه المصطفى مما غمضته (٢)
 لكفرة به ، وتكذيبهم له ، وآنسه وبسط أمله
 قوله محسناً خطاباً : « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ
 بِكَ بِمَجْنُونٍ (٣) » .

نهاية المبرة
 في المخاطبة

وهذه نهاية المبرة في المخاطبة ، وأعلى
 درجات الآداب في المحاورة .

نعمة غير ممنونة

ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم ،
 ثواب غير منقطع ، لا يأخذه عدٌّ ، ولا يمن
 به عليه .

فقال : « وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
 مَمْنُونٍ (٤) » .

التي عليه
 بما منحه

ثم أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهده

-
- (١) سورة القلم : آية ١ .
 (٢) فمضته : احتقرته وهابته .
 (٣) سورة القلم : آية ٢ .
 (٤) سورة القلم : آية ٣ .

إليه وأكد ذلك تميماً للتمجيد بحر
التأكيد .

الخلق العظيم فقال تعالى : « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ (١) » .

قيل : القرآن (٢) .

قال الواسطي : أثنى عليه بحسن قبوله
لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك عم
غيره ، لأنه جبله على ذلك الخلق .

يسر للخير
وهدى إليه ثم
أثنى به عليه
فسبحان اللطيف المحسن ، الجواد الحميد
الذي يسر للخير وهدى إليه ، ثم أثنى على
فاعله ، وجازاه عليه .

سُبْحَانَهُ ما أَغْمَرَ (٣) نواله ، وأوسع
إفضاله .

ثم سَلَّاهُ عن قولهم بعد هذا بما وعده به
من عقابهم وتوعدهم بقوله : « فَسَتُبْصِرُ

(١) سورة القلم : آية ٤ .

(٢) وهو المروي عن عائشة أنها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه .

(٣) ما أغمر : ما أعم .

يَبْصِرُونَ (١) « الآيات الثلاث .

ثُمَّ عَطَفَ بَعْدَ مَدْحِهِ عَلَى ذَمِّ عَدُوهِ (٢) ،
ذَكَرَ سُوءَ خُلُقِهِ ، وَعَدَّ مَعَايِبَهُ ، مَتَوَلِيًّا
لِكَ بِفَضْلِهِ ، وَمُنْتَصِرًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
سَلَّمَ ، فَذَكَرَ بَضْعَ عَشْرَةِ خَصَلَةٍ مِنْ خِصَالِ
لِذَمِّ فِيهِ .

بقوله تعالى : « فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ (٣) »
لى قوله : « آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٤) » .

— ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام
لقائه ، وخاتمة بواره (٥) بقوله تعالى :
نَسِمْهُ عَلَى الْخُرطومِ (٦) .

فكانت نصرة الله تعالى له أتم من نصرته
نفسه ، وردده تعالى على عدوه أبلغ من رده ،
أثبت في ديوان مجده .

نصرة الله له أتم
من نصرته
نفسه

(١) سورة القلم : آية ٥ .

(٢) قيل هو الأخنس بن شريق . والآنظر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبي في تفسيره
نه ابو جهل ، ونسب هذا إلى ابن عباس رضي الله عنهما : وقيل هو عتبة بن ربيعة .

(٣) سورة القلم : آية ٨ .

(٤) سورة القلم : آية ١٥ .

(٥) بواره : دماره .

(٦) سورة القلم : آية ١٦ .

الفصل السادس

في

ما ورد من قوله تعالى في جهته

صلى الله عليه وسلم

مورد الشفقة والإكرام

قال تعالى : « طه ما آتزلنا عليك

القرآن ليتشقى (١) » .

طه ومعانيها قيل : « طه » اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم (٢) .

عليه وسلم (٢) .

وقيل : هو اسم لله (٣) .

وقيل : معناه يا رجل (٤) .

وقيل : يا إنسان .

وقيل : هي حروف مقطعة لمعان .

قال الواسطي : أراد يا طاهر يا هادي .

(١) سورة طه : آية ١ ، ٢ .

(٢) لعديث تقدم .

(٣) قاله : ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) في لفة لك .

وهو قوله تعالى : « مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ سُبُّ النَّزُولِ
لِقُرْآنٍ لِّتَشْقَى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل .
— وإن جعلنا « طه » من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قَسَمًا لحق (١)
لفصل بما قبله ، ومثل هذا من نمط (٢)
لشفقة والمبرّة .

قوله تعالى : « فَلَمَّا لَمْ يَبَاخِعْ نَفْسَكَ عَلَى
ثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
سَفَا (٣) » .

أي قاتل نفسك لذلك غضباً ، أو غيظاً ،
و جزعاً .

ومثله قوله تعالى : « لَمَّا لَمْ يَبَاخِعْ
نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٤) » .

(١) أي اتصل هذا الفصل بالفصل الذي قبله لإنبائه بما القسم به تعالى تحقيقاً
بأنه عنده .

(٢) النمط : النوع وأصله الجماعة من الناس أمرهم واحد .

(٣) سورة الكهف : آية ٦ .

(٤) سورة الشعراء : آية ٣ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : « إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِ
 مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّكَ آعْنَاقُهُ
 لَهَا خَاضِعِينَ (١) » .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « فَاصْدِرْ
 بِمَا تَوَمَّرَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٢)
 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ
 يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٣) » ،
 آخر السورة .

وقوله : « وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ
 مِنْ قَبْلِكَ (٤) » الآية .

قال مكي : سلامه تعالى بما ذكر ، وهو
 عليه ما يلقاه من المشركين ، وأعلمه أن
 تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله
 ومثل هذه التسلية ، قوله تعالى : « وَإِ
 يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
 قَبْلِكَ (٥) » ومن هذا قوله تعالى : « كَذَلِكَ
 مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ

سنته الرسل

-
- (١) سورة الشعراء : آية ٤ .
 - (٢) سورة الحجر : آية ٩٤ .
 - (٣) سورة الحجر : آية ٩٧ .
 - (٤) سورة الرعد : آية ٣٧ .
 - (٥) سورة فاطر : آية ٤ .

لَا قَالُوا سَاحِرٌ " أَوْ مَجْنُونٌ (١) » .

— عَزَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْأُمَمِ
لِسَالِفَةِ وَمَقَالَاتِهَا لِأَنْبِيَائِهِمْ قَبْلَهُ — وَمَحْنَتِهِمْ

• م •

— وَسَلَّاهُ بِذَلِكَ عَنْ مَحْنَتِهِ بِمِثْلِهِ مِنْ كُفَّارِ
كَفَّةٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَوَّلُ مَنْ لَقِيَ ذَلِكَ .

— ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ ، وَأَبَانَ عِذْرَهُ ، بِقَوْلِهِ
مَالِي : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ (٢) » .

أَيَّ أَعْرَضَ عَنْهُمْ « فَمَا أَنْتَ
مَحْكُومٌ (٣) » . أَيَّ فِي أَدَاءِ مَا بَلَغْتَ وَإِبْلَاحِ
مَا حُكِّمْتَ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (٤) » .

• أَيَّ : اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ ، فَإِنَّكَ بِحَيْثُ نَرَاكَ
نَحْفَظُكَ ، سَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا فِي أَيِّ كَثِيرَةٍ مِنْ
بُذَاهِ الْمَعْنَى ...

(١) سورة الذاريات : آية ٥٢ .

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٤ .

(٣) سورة الذاريات : آية ٥٤ .

(٤) سورة الطور : آية ٤٨ .

الفصل السابع

في

ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز

من عظيم قدره وشريف منزلته

على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم

قال الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ إِلَى قَوْلِهِ : « مِر
الشَّاهِدِينَ (١) » .

قال أبو الحسن القاسبي : استغصّر
الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بفضل
يؤتاه غيره ، أبانه (٣) به ، وهو ما ذكره
هذه الآية . قال المفسرون : أخذ الله الميثاق
بالوحي ، فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمد
ونعمته ، وأخذ عليه ميثاقه إن أدرك
ليؤمن به .

اختصاصه
بالفضل من دون
الأنبياء

(١) « لَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِمَّنْ دَقَّ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصَرُنَّ
قَالَ ۖ أَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ لِصِرِّي قَالُوا اأْمُرْنَا قَالَ فاشهد
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » من سورة آل عمران : آية ٨١
(٢) استغصن وخص واختص بمعنى واحد : فالسعين للتأكيد لا للطلب .
(٣) أي أظهر ذلك الفضل له أو فضله وميزه به عن غيره .

وقيل: أَنَّ يُبَيِّنَهُ لِقومه ، ويأخذ ميثاقهم
نَّ يُبَيِّنُوهُ لِمَن بعدهم .

وقوله : « ثُمَّ جَاءَكُمْ » ، الخطاب لأهل
لكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم .

أخذ العهد
من الأنبياء

قال (١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
م يبعث الله نبياً من آدمَ فَتَمَن بعده ، الا أخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم ، لئن
بُعث وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنّه ، ويأخذ
له عهد بذلك على قومه .

وعن السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ : نحوّه في أي
نضمنت فضله من غير وجه واحد .

قال تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ » وَمِنْ نُوحٍ (٢) « الآية .

وقال تعالى : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ (٣) » إلى قوله :
« شَهِيداً » .

(١) كما رواه ابن جرير وابن كثير بإسناد صحيح والبقوي بمبارات مختلفة
لنقل بالمعنى أو تعدد القول المروي عن علي رضي الله عنه .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٧ .
(٣) سورة النساء : آية ١٦٣ .

كلام عمر في
ثناء الرسول
صلى الله عليه
وسلم

رُوِيَ عن عمر بن الخطاب أَنه قال في كـلام
بـكى (١) به النبي صلى الله عليه وسلم فقال
« بـأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ، أَن بعثك آخر الأنبياء ،
وذكركَ في أولهم ، فقال : « وَإِذْ أَخَذْنَا
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ
نُوحٍ (٢) » الآية .

أوليته على
الأنبياء

— بـأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ، لقد بلغ
من فضيلتك عنده ، أَن أهل النار يودون أَد
يكونوا أطاعوك ، وهم بين أطباقها يعذبون ،
يقولون : « يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا
الرَّسُولَ (٣) » .

أما أهل النار

وقال تعالى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » الآية .

قال أهل التفسير : أراد بقوله : « وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ

(١) أي : دلى .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٧ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٦٦ .

دَرَجَات (١) « محمد صلى الله عليه وسلم ،
لأنه بُعث الى الأحمر (٢) والأسود (٣) ، وأُحِلَّت
له الفنائم ، وظهرت على يديه المعجزات ،
وليس أحد من الأنبياء أُعطي فضيلة ، أو
كرامة إلا وقد أُعطي محمد صلى الله عليه
وسلم مثلها .

مغابطته بالنبوة
والرسالة

قال بعضهم : ومن فضله أَنَّ الله تعالى خاطب
الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (٤) »
و « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ (٥) » .

وحكى السَّمُرْقَنْدِيُّ عن الكلبي في قوله
تعالى : « وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٦) » ،
أَنَّ الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم
أَي : إِنْ مِنْ شَيْعَةِ مُحَمَّدٍ لِإِبْرَاهِيمَ ، أَي على
دينه ومنهجه .

-
- (١) سورة البقرة : آية ٢٥٣ .
(٢) الأحمر : العجم لقلية البياض والعمرة عليهم .
(٣) الأسود : لقلية الأدمة والسمررة عليهم . وقيل : الأحمر والأسود الانس والجن .
(٤) سورة التوبة : آية ١٢٣ .
(٥) سورة المائدة : آية ٦٧ .
(٦) سورة الصافات : آية ٨٣ .

الفصل الثامن

في

إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له

ورفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (١) » . أي ما كنت بمكة ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل :

بواره امان

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ » . وهذا مثل قوله : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَمَذَّبْنَا (٢) .. » الآية .

استغفار بعض الناس سبب لي دفع العذاب عن الكل

(١) سورة الأنفال : آية ٣٣ .
(٢) « الذين كفروا منهم عذابا اليما » من سورة الفتح : آية ٢٥ .

وقوله تعالى : « وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ (١) ... الآية . فلما هاجر المؤمنون نزلت : « وَمَالَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمْ اللَّهُ (٢) » .

(١) وصدر الآية « هم الذين كفروا وصنّوكم عن المسجد الحرام والهندي معنوها ان يبلغ معك ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات » لم تعلموهم ان تطسّوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لينزل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .. » من سورة الفتح : آية ٢٥ .

معنى الآية : يقول تعالى مغبرا عن الكفار من مشركي العرب ، من فريش ومن مالاهم على نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم هم الكفار وهم الذين صنّوا المؤمنين عن المسجد الحرام وصنّوا الهندي ان يصل الى محله وهذا من بغيهم وعنادهم لم يبين الله تعالى رحمته بالمؤمنين المغضين ايمانهم فيقول عنهم : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) اي بين اظهر الكافرين ممن يكتم ايمانه ويغيبه عنهم ، خيفة على انفسهم من قومهم لكننا سلطناكم عليهم فقتلتوهم وايدتم خضاءهم ، ولكن بين افئادهم من المؤمنين والمؤمنات اقوام لا تصرفونهم حالة القتل ، ولهذا قال تعالى : (لم تعلموهم ان تطوّاهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) .

معرة : اثم .. ثم قال تعالى (لو تزيّلوا) اي لو تميّز الكفار من المؤمنين الذين بين اظهرهم لسلطناكم عليهم فقتلتوهم قتلا ذريعا .. وهذا يبين رحمة الله بالصعابة ورفقه العذاب بسببهم وما لأصحابه صلى الله عليه وسلم اغا هو ببركته ايضا ولأجل عين الف عين تكرم .

(٢) « وَمَالَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمْ اللَّهُ » وهم يصنّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه لان أولياءه الا المتّقون ولكن أكثرهم لا يعلمون » . من سورة الانفال : آية ٢٤ .

وهذا من آيِّنَ ما يُظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ، وِدِرَآتِهِ (١) العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم ، فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم ، وحكم فيهم سيوفهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وفي الآية أيضاً تأويل آخر .

عن أبي بَزْدَةَ ابن أبي موسى عن أبيه قال (٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل الله عليّ أمانين لأمتي : » وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار .

فضل الاستغفار

(١) بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء اي ومن آيِّنَ ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .

(٢) انفرد الترمذي بإخراجه من بين الستة ذكره في التفسير ، وقال غريب وإسماعيل ابن إبراهيم يضعف في الحديث . اهـ . ويقويه أنه رواه ابن أبي حاتم . عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ، وأبو الشيخ نحوه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه موقوفا أيضاً .

ونحو منه قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١) » .

قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَمَانٌ لأَصْحَابِي (٢) » .

قيل : من البدع .

وقيل : من الاختلاف والفتن .

قال بعضهم : الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش . وما دامت سُنَّتُهُ باقية فهو باق ، فإذا أُميتت سُنَّتُهُ فانتظروا البلاءَ والفتن . وقال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (٣) » . الآية .

الرسول باق
ما دامت سنته
بأبقيته

أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ، ثم بصلاة ملائكته ، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه ، وحكى أبو بكر بن قُورَك : أنَّ بعض العلماء تأول قوله صلى الله عليه وسلم : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » .

(١) من سورة الأنبياء : آية ١٠٧ . ١٠٧ .
(٢) وفي لفظ : أنا أمانه لأصحابي ، وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بريدة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه .
(٣) « ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

على هذا (١) ، أي : في صلاة الله تعالى عليّ ،
وملائكته ، وأمره الأمة ، بذلك إلى يوم
القيامة . « والصلاة » من الملائكة ومنا له
دعاء ، ومن الله عز وجل رحمة .

معنى الصلاة

وقيل : « يُصَلُّون » يباركون ، وقد فرّق
النبي صلى الله عليه وسلم حين علّم الصلاة
عليه بَيْنَ لفظ « الصلاة » و « البركة »
وسنذكر حكم الصلاة عليه .

وقال تعالى : « وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ » (٢) .
أي وليّه .

ولاية الله

« وصالح المؤمنين » .

قيل : الأنبياء .

وقيل : الملائكة .

وقيل : المؤمنون ... على ظاهره .

(١) أي على هذا المعنى يكون المراد : (في صلاة الله تعالى عليّ) .
(٢) « أن تتوينا إلى الله فقد صفت قلوبكما وإن تظاهرا ... » سورة التريم :
(آية ٤) .

الفصل التاسع

في

ما تضمنته سورة الفتح من كراماته

صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) » الى قوله تعالى : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » .

تضمنت هذه الآيات من فضله ، والثناء عليه ، وكريم منزلته عند الله تعالى ، ونعمته لديه ، ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من الظهور وغلبته القضاء البيّن بظهوره وغلبته على عدوه ، وعُلُو كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له ، غير مؤاخذ بما كان ، وما يكون ، قال بعضهم : غفران ذنبه أراد غفران ما وقع ، وما لم يقع .. أي أنك مغفور لك ...

(١) سورة الفتح : آية رقم ١ - ١٠ .

المنة سبب
المغفرة

وقال مكي : جعل الله المنة سبباً للمغفرة ،
وكلُّ من عِنْدِهِ (١) لا إلهَ غَيْرُهُ ، منَّةٌ بعد
منَّةٍ ، وفضلاً بعد فضل .

اتمام النعمة

ثم قال تعالى : « وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ » .

قيل : بخضوع من تكبَّرَ عليك لك .

وقيل : بفتح مكة والطائف .

وقيل : يرفع ذكرك في الدنيا ، وينصرك ،
ويغفر لك ، فأعلَمَهُ بتمام نعمته عليه ،
بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح أهم البلاد
عليه ، وأحبَّها له ، ورفع ذِكْرَهُ ، وهدايته
الصراط المستقيم ، المبلِّغ إلى الجنة والسعادة ،
ونصره النصر العزيز ، ومنَّته على أُمته
المؤمنين بالسكينة والطمأنينة ، التي جعلها في
قلوبهم ، وبشارتهم بما لهم عند ربهم بعدُ ،
وفوزهم العظيم ، والعفو عنهم ، والستر
لذنوبهم ، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ،
ولعنهم وبعدهم من رحمته ، وسوء منقلبهم .

(١) أي لقوله سبحانه وتعالى : (قل كلُّ من عِنْدِ اللَّهِ) .

شهادته على
على أمته

ثم قال : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » الآية . فقد محاسبته
وخصائصه ، من شهادته على أمته لنفسه
بتبليغه الرسالة لهم .

وقيل : شَاهِدًا لهم بالتوحيد .

« وَمُبَشِّرًا » لأُمته بالثواب .

وقيل : بالمغفرة .

« وَنَذِيرًا » مُنْذِرًا عدوه بالعذاب .

وقيل : محذراً من الضلالات ، ليؤمن بالله ،
ثم به ، من سبقت له من الله الحسنى .

« وَيُعَزِّزُوهُ (١) » أي يُجِلُّونَه .

وقيل : ينصرونه .

وقيل : يبalfنون في تعظيمه .

« وَيُؤَقِّرُوهُ » أي يُعْظِّمُونَه .

(١) من قوله تعالى : « لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ »
بكرة وأصيلاً . - سورة الفتح : آية رقم ٩ .

والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد
صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : « وتُسَبِّحُوهُ » فهذا راجع الى
الله تعالى .

قال ابن عطاء : جُمِعَ للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السورة نِعَمٌ مختلفة :

— من الفتح المبين : وهو من أعلام (١)
الإجابة .

— والمغفرة : وهي من أعلام المحبة .

— وتتمام النعمة : وهي من أعلام
الاختصاص .

— والهداية : وهي من أعلام الولاية .

فالمغفرة تبرئة من الميوب .

وتتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة .

والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة .

(١) أعلام : علامات .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته تمام النعمة عليه أن جعله حبيبه ، وأقسم بحياته ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج به إلى المحل الأعلى ، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طفى ، وبعثه إلى الأحمر والأسود ، وأحل له ولأئمة الفنائم ، وجعله شفيعاً مُشفِعاً وسيد ولد آدم ، وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه ، وجعله أحد ركني التوحيد .

ثم قال تعالى : « انَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ (١) » . يعني بيعة الرِّضَوان (٢) .

أي إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّاكَ .

« يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » يريد عند يده الله البيعة .

(١) « ... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ اَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوثِيهِ اَجْرًا عَظِيْمًا » سورة الفتح : آية ١٠ .
(٢) بيعة الرضوان كانت بالمديينة ، وسميت بها لقوله تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ اِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » وهي شجرة سمرة وعضاء ، وقعت تحتها البيعة وبقيت إلى زمن عمر رضي الله تعالى عنه ، وكانوا ألفاً وأربعمائة أو خمسمائة ، والمبايعة كانت على أن لا يفروا ، أو على الموت ، ولا مخالفة بينهما ، ولم يتخلف منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضي الله تعالى عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم أنهم لم يقدموا لعرب ، وانما جاؤوا زواراً للنبي ، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال : « هذه يد عثمان » وكان وقع الأرجاف بقتله .

الفصل العاشر

في

ما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته

عليه ومكانته عنده وما خصّه به من ذلك

سوى ما تقدم

— من ذلك ما قصّه تعالى ، من قصّة

الإسراء ، في سورة « سُبحَانَ (١) »

و « النّجم » (٢) ، وما انطوت عليه القصة ،

مشاهدة المعانيب من عظيم منزلته ، وقربه ، ومشاهدته

ما شاهده من المعانيب ..

— ومن ذلك ، عصمته من الناس ، بقوله

عصمته من تعالى :
النّاس

« وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٣) » .

(١) « سُبحَانَ » الذي أسمى بعينه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لشريته من آياتنا أنه هو السميع البصير » . سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) والمراد هنا قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يقضي السُّدُرَ كما يقضي ، ما زَاغَ البَصَرُ وما طَفَى لَقْد رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » . سورة النجم : آية ١٣ - ١٨ .

(٣) « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ لَمْ يَهْدِ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » سورة المائدة : آية ٦٧ .

وقوله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا (١)» الآية .

وقوله : «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ (٢)» .

— وما دفع الله به عنه في هذه القصة ، من أذاهم بعد تحريرهم لهلكه ، وخلصهم نجياً (٣) في أمره ، والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم ، وذهولهم عن طلبه في الفار ، وما ظهر في ذلك من الآيات ، ونزول السكينة عليه ، وقصة «سراقة بن مالك» ، حسبما ذكره أهل الحديث والسير (٤) في قصة الفار ، وحديث الهجرة (٥) .

(١) «... لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٢) «... إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَعِزَّنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَانْزِلْ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجْنُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» سورة التوبة : آية ٤٠ .

(٣) مصدر أو وصف أريد به معنى الجمع ومعناه : متناجين متشاورين .

(٤) السير : جمع سيرة بمعنى الطريقة الغصلة ، ثم خص بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسفاره المفردة بالتنوين .

(٥) الهجرة : الانتقال من دار لأخرى ، وهي هنا للمهد . أي هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة .

ومن قوله تعالى : « إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ
 الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنِّ
 شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (١) » .
 أعلمه الله تعالى بما أعطاه .

الكوثر

و « الكوثر » حوضه .

وقيل : نهر في الجنة .

وقيل : الخير الكثير .

وقيل : الشفاعة .

وقيل : المعجزات الكثيرة .

وقيل : النبوة .

وقيل : المعرفة .

ثم أجاب عنه عدوّه ، ورد عليه قوله .

فقال تعالى : « إِنِّ شَانِئَكَ هُوَ
 الْأَبْتَرُ (٢) » .

الشانئ
 هو الأبتَر

أي عدوِّك ، ومُبْغِضَك .

(١) سورة الكوثر : آية ١ - ٣ .

(٢) سورة الكوثر : آية ٣ .

و « الأ بتّر » : الحقير الذليل أو المفرد
لوحيد . أو الذي لا خير فيه .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا
مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (١) » .

قيل (٢) : « السبع المثاني » السّور الطوال
الأ ول .

« والقرآن العظيم » أم القرآن .

وقيل (٣) : « السبع المثاني » أم القرآن .

« والقرآن العظيم » سائره .

وقال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ (٤) » الآية .

وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (٥) » .

(١) سورة العجر : آية ٨٧ .

(٢) وهو المحكي عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهم .

(٣) وهو المحكي عن عمر وعلي والحسن البصري رضي الله عنهم .

(٤) « لِيُنَبِّئَ النَّاسَ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » سورة النحل : آية ٤٤ .

(٥) « ... وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » سورة سبأ : آية ٢٨ .

وقال تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً (١) » .
الآية .

فَخَصَّهم بِقومهم ، وبعث محمداً صلى الله
عليه وسلم الى الخلق .

قال القاضي : فهذه من خصائصه .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ
إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ (٢) » .

وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ
لَهُمْ (٣) » .

وقال تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ (٤) » .

بعثه الى الغلق

(١) « ... الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُعْصِي وَيُنصِتُ
فَاسْتَوْصُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ » الاعراف : آية ١٥٨ .

(٢) أي العرب والعجم .

(٣) « ... فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ » سورة
ابراهيم : آية ٤ .

(٤) « ... وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا »
الاحزاب : آية ٦ .

قال أهل التفسير : « أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ أَنْفُسِهِمْ » . أي : ما أَنْفَذَهُ فِيهِمْ مِنْ
 أَمْرٍ ، فهو مَاضٍ عَلَيْهِمْ ، كما يَمْضِي حُكْمُ السَّيِّدِ
 عَلَى عَبْدِهِ .

اتباع امره
 أولى من اتباع
 رأي النفس

وقيل : اتباع أمره أولى من اتباع رأي
 النفس .

« وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » أي : هن
 في الحرمة كالأمهات ، حرّم نكاحهن عليهم بعده
 تكريمة له وخصوصية ، ولأنهن له أزواج في
 الجنة ..

وقال الله تعالى : « وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (١) » الآية .

« وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (٢) » .
 قيل : « فضله العظيم » بالنبوة .

فضل الله العظيم

وقيل : بما سبق له في الأزل .
 وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال
 الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام .

(١) « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ » وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا « سورة النساء :
 آية ١١٣ .
 (٢) سورة النساء : آية ١١٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي المسلم :

الآن بعد أن انتهيت من قراءة هذه الشمائل الكريمة . أرجو أن ترفعَ كفَّيك لترددَ مع أولادك وأهلك وأحبائك هذه الأدعية الماثورة عسى الله أن يقبلنا وإياك .

سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ الْمَجْدُ وَتَكَرَّرَ بِهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ ، سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ لَسْتَ بِالْهَاسِدِ اسْتَعْدْنَاهُ ، وَلَا بِرَبٍّ ابْتَدَعْنَاهُ ، وَلَا كَانَ لَكَ قَبْلَكَ مِنْ إِلَهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنُذْرَكَ ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ فَنُشْرَكَ بِكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي ، وَنُورًا فِي قَبْرِي ، وَنُورًا بَيْنَ يَدَيْ . وَنُورًا مِنْ خَلْفِي ، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي ، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي ، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي ، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي ، وَنُورًا فِي سَمْعِي ، وَنُورًا فِي بَصَرِي ، وَنُورًا فِي شَعْرِي ، وَنُورًا فِي بَشْرِي ، وَنُورًا فِي لَحْمِي ، وَنُورًا فِي دَمِي ، وَنُورًا فِي عَظَامِي ، اللَّهُمَّ أَعْظَمْ لِي نُورًا ، وَأَعْظَمِي نُورًا ، وَاجْعَلْ لِي نُورًا .

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْعِزِّ الشَّدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ اسْأَلُكَ الْآمِنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ ، مَعَ الْمُتَقَرِّبِينَ الشُّهُودِ ، الرَّكَعَ السَّجُودِ ، الْمُتَوَفِّينَ بِالْعُھُودِ ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تَرِيدُ . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ سَلَامًا لَوْلِيَانِكَ ، وَهَدًى لِأَعْدَانِكَ نَعْبُدُ بِحُبِّكَ مِنْ أَحَبِّكَ ، وَتُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مِنْ خَالِفِكَ . اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَهَلِيكَ الْإِجَابَةُ ، وَهَذَا الْجُھْدُ وَعَلَيْكَ التَّكْلَانِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْزِلْ بكَ حَاجَتِي ، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي (أَي عِزْزٌ عَنِ الْإِدْرَاكِ) ،
ضَعُفَ عَمَلِي افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ ، فَاسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُور ، يَا شَافِيَ
صُدُورٍ كَمَا تَجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تَجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ
شُبُورٍ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ . اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ
يَسَّرْتِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسَّئَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدَّتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ خَيْرٍ
نَتَّ مُعْطِيَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ ، فَاتْنِي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَاسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُورًا ، وَاجْعَلْنِي صَبُورًا ، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيرًا ،
فِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا .

اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ وَلَا تَنْزِعْ مِنِّي صَالِحَ
مَا أَعْطَيْتَنِي .

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

يطلب هذا الكتاب مجاناً من :

شركة النهضة الطبية

جدة - ص.ب ٤٦٨٣

تليفون : ٦٨٩١٢٠٨-٦٨٧٧٨٤٨

(حقوق الطبع محفوظة)

الفهرس

صفحة الموضوع

٣	الامداء
٤	مقدمة
٧	ترجمة المؤلف
١٤-٩	مقدمة المؤلف :
	تمجيد وتوحيد - نعمة الرسول صلى الله عليه وسلم - سبب التأليف والدافع اليه - الشعور بثقل التبعة - الشعور بالواجب يبدد الخوف من المسئولية .
١٥	القسم الأول :
	في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم - قولاً وفعلاً .
١٧	مقدمة القسم الأول :
١٩	الباب الأول :
	في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه .

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المعاص
 - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - الحكمة في كونه
 الرسول من أنفسهم - بيان ما تجمله كلمة أنفسكم
 صلة المخلوق بالخالق عن طريق الرسل - وما أرسلنا
 إلا رحمة للعالمين - شرح الصدر - وضع الوزر - رف
 الذكر - وأطيعوا الله والرسول - حكم العطف به
 الخالق والمخلوق - أقوال العلماء في مسألة الجمع به
 الخالق والمخلوق بضمير واحد - اختلاف المفسرين
 معنى الصراط المستقيم - العروة الوثقى - نعمة الله .
 جاء بالصدق .

في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء
 والكرامة - شاهداً - ومبشراً - ونذيراً - وداعياً .
 سراجاً منيراً - صفته في التوراة - روايات عن التوراة
 في صفته صلى الله عليه وسلم - رحمته بالمؤمنين - فضل
 أمته من فضله - شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم
 لأمته بالصدق - قدم الصدق للمؤمنين به .

٤٥-٤ الفصل الثالث :

في ما ورد من خطابه اياه مورد الملائفة والمبرة -
عفا الله عنك - التأديب بالقرآن - لا يشكثون في صدقه
ولكن يشكثون بما جاء به - تعريف الجحود - تعزية -
المخاطبة بصفة محمودة أعلى من المخاطبة بالاسم .

٤٨-٤ الفصل الرابع :

في قسمه تعالى بعظيم قدره - قسمه تعالى بعمره صلى
الله عليه وسلم - تشرف مكة به - أمّنها الله بمقامه
فيها .

٥٩-٤ الفصل الخامس :

في قسمه - تعالى جده - له لتحقيق مكانته عنده -
والضحى سبب نزولها - وجوه تعظيمه في هذه السورة
- بيان مكانته عنده - المآل خير - العطاء محدود
بالرضى - رضاه باخراج أمته من النار - تعداد النعم
- الايواء - اليتيم - اظهار النعمة - والنجم اذا هوى
- فضائله صلى الله عليه وسلم في هذه السورة -
الاشارة تقوم مقام العبارة - تزكية القلب - تزكية

اللسان - تزكية البصر - كريم - ذي قوة - مكين
 في السماء - أمين - رؤية ربه - ظنين - سورة « ن
 - نهاية المبارة في المخاطبة - نعمة غير ممنونة - اثن
 عليه بما منحه - الخلق العظيم - يسر للخير وهذا
 اليه ثم اثنى به عليه - نصره الله له اتم من نصر
 لنفسه .

٦٠-٦٣ الفصل السادس :

في ما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسا
 مورد الشفقة والاكرام - طه ومعانيها - سبب النزو
 - تسليية وشفقة - سنة الرسل .

٦٤-٦٧ الفصل السابع :

في ما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدر
 وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته عليهم .
 اختصاصه بالفضل من دون الانبياء - اخذ العهد م
 الانبياء - كلام عمر في رثاء الرسول صلى الله عليه
 وسلم - اوليته على الانبياء - امانى اهل النار - سبب
 تفضيله - مخاطبته بالنبوة والرسالة .

٧٢-٦٨ الفصل الثامن :

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع
العذاب بسببه - جواره امان - استغفار بعض الناس
سبب في دفع العذاب عن الكل - فضل الاستغفار -
الرسول باق ما دامت سنته باقية - صلاة الله - معنى
الصلاة - ولاية الله له .

٧٧-٧٢ الفصل التاسع :

في ما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه
وسلم - سورة الفتح - ظهوره وغلبته - غفران ذنبه -
المنة سبب المغفرة - اتمام النعمة - شهادته على أمته
لنفسه - يعزروه - تمام النعمة - يد الله

٨٣-٧٨ الفصل العاشر :

في ما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه
ومكانته عنده وما خصه به في ذلك سوى ما تقدم -
مشاهدة العجائب - عصمته من الناس - الكوثر -
الشانيء هو الأبتى - السبع المثاني - عموم الرسالة -
بعثه الى الخلق - اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس
- فضل الله العظيم .

طبع بموافقة وزارة الاعلام السعودية

رقم ٣١٢ / م / ج تاريخ ١٢ / ٣ / ١٤٠٢ هـ

بيان الخطأ والصواب

في الجزء الأول من

كتاب تهذيب الشفا

أخي القارئ :

معذرة لوقوع بعض الأخطاء المطبعية في الجزء الأول من كتاب
« تهذيب الشفا » واليكها راجين منك تصحيحها :

ص	س	خطأ	صواب
١٠	١٦	ماضي	ماضي
١١	٤	يتنعمون	يتنعمون
١٣	١٥	محلّه	محلّه
١٤	١٦	للشـ	للشاعر
٤٨	٤	بهان	بها
٧١	١٩	آية ١٠٧ ١٠٧٠	آية ١٠٧
٧٩	٢٠	الغصلة	والغصلة